الغنيمة الضائعة

ميرفت بنت كامل أسرة

مصدر هذه المادة :



الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com

دار ابن الأثير

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمد للـــــه، نحمــــده ونســـــتعينه ونسـتغفره، ونعـوذ بالله من شـرور أنفسـنا ومن ســيئات أعمالنـــا، من يهــده الله فلا مضلَّ له، ومَن يضلل فلا هادي لــه، وأشــهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشــهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فـإن من أعجب التناقضـات الـتي تمتلئ بها حياتنا المعاصـــرة شـــدة حرصـــنا على ممتلكاتنا الخاصة من أمـوال ومسـتندات... الخ, حــتى إذا فقـدنا شـيئًا منها فإننا نبـذل قصارى جهدنا لاسترجاعها أو الحصول على بديل عنها.

بينما لا يكـــون ذلك الحــــرص منا على استرداد الغنيمة الضائعة في حياتنـا, والـتي تضـمنها حـديث النـبي ﷺ: «**اغتنم خمسًـا قبل خمس: حياتك قبل موتــــــك، وصـحتك قبل سـقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمـك، وغنـاك**

قبل فقـــــرك» [أخرجه أحمد وغـــــيره وصححه الألباني].

فـــالفراغ -أخي الطـــالب- من نعم الله تعالى علينا التي تستوجب شـكره عز وجل عليها باستعمالها في طاعته جلَّ شأنه؛ قال ﷺ: **«نعمتــان مغبــون فيهما كثـير من النـــاس: الصـــحة، والفـــراغ» [أخرجه البخاري].**

فاغتنام أوقات الفـراغ هو اسـتثمار لعمر الإنسان؛ لأن الوقت هو مـادة الحيـاة؛ قـال الإمام ابن القيم رحمه الله: «وقت الإنسان هو عمـــره في الحقيقـــة، وهو مـــادة حياته الأبدية في النعيم المقيم، ومـــادة معيشـــته الضـــنك في العـــذاب الأليم, وهو يمر مـــرَّ السحاب, فما كان من وقته لله وبالله, فهو حياته وعمره، وغير ذلك ليس محســوبًا من حياتــه، وإن عـاش فيه عيش البهـائم، فـإذا اقتطع وقته في الغفلة والســهو والأمـــاني الباطلـــة، وكـــان خـــير ما قطعه به النـــوم والبطالـة، فمـوت هـذا خـير له من حياته». اهـ.

وبنظـرة سـريعة لحالنا مع أوقاتنا نجد أننا

قد فرَّطنا فيها كثـيرًا؛ فهـذا رجل يلهث خلف سراب الدنيا الزائف ليل نهـار، وهـذه امـرأة طوافة بالأسواق, تبحث دومًا عن كل جديــد، وذاك شـاب يمتطي صـهوة جـواد الإنـترنت؛ لزيـارة مواقع الفسـاد والريبـة! وهـذه شـابة تجـوب صـفحات المجلات بالغـدو والآصـال؛ لمعرفة آخر صـــيحات الموضة في العـــالم، وذلك فتىً لا همَّ له سـوى متابعة المباريـات الرياضـــية، وتلك فتـــاة أســـيرة القنـــوات الفضــائية, تســافر بخيالها مع ســعير الأفلام والمسلسلات إلى مسـتنقعات الرذيلـة, فـأي إهدار للأوقات بعد هذا ؟!

ومما ينبغي ألا يغيب عن أنظارنا -أخـــتي الغاليـــة- أن إهـــدار أوقـــات العمر لن يمر مـرور الكـرام, بل سيحاسـبنا الله عز وجل عليه يـوم القيامة يـوم الحسـرة والندامـة؛ قـال ﷺ: **«لا تـزول قـدما ابن آدم يـوم القيامة من عند ربه حـتى يُسـأل عن خمس: عن عمــره فيم أفنــاه، وعن شـــبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وماذا عمل فيما علم» [أخرجه الترمذي وحسَّنه الألباني].**

فكل ســـــاعة بل كل دقيقة بل كل ثانية من عمرنا سنُسأل عنها كيف أمضــينا؟ أفي طاعة الله عز وجل أم في معصـــيته؟ وعند نــزول هــادم اللــذات ومفــرق الجماعــات سيندم المفرِّط منا على تقصيره، وإضـاعته لعمره وأوقاته بلا جدوى، ولات حين منــدم؛ قال تعالى: ﴿**حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَـوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَـلُ صَـالِحًا فِيمَا تَـرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَــةٌ هُـوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَـرْزَخٌ إِلَى يَـوْمِ يُبْعَثُـونَ**﴾ **[المؤمنون: 99، 100].**

وإن مما يحـــزن القلب ما نشـــاهده من حــرص غــير المسـلمين على أوقـاتهم في الحين الــذي يتفنن المســلمون في إهــدار أوقــاتهم؛ فكثــيرًا ما نــرى الواحد من غــير المسـلمين – ذكـرًا كـان أم أنـثى – ممسـكًا بكتابٍ يقرؤه؛ ليقطع به الوقت أثنـاء جلوسه في صــالة المطــار أو في القطــار أو خلال انتظـار في عيـادة الطـبيب، بينما من النـادر أن نــرى مســلمًا – أو مســلمة – يفعل مثل ذلك, بل إننا -معاشرَ المسلمين- نملك كــنزًا نفيسًا لا يملكه غيرنا، كنزًا ثقيلاً في الميزان

غــير مكلف في حمله لأي مكــان ومع ذلك قلما نأخذ منه ألا وهو ذكر الله تعــــــالى والاستغفار.

فهل يشق علينا مجــرد تحريك ألســنتنا بــذكر الله عز وجل أثنــاء تحركاتنا وتنقلاتنا من مكــان إلى مكــان؟! بالتأكيد لا.. ولكنَّ داءنا يا أخية هو دنو هممنا الذي يحــول بيننا وطرق أبواب الخير.

على النقيض من سـلفنا الصـالح الـذين علت هممهم حـتى عـانقت الثريـا, فعرفـوا كيف يغتنمــون أوقــاتهم في طاعة الله عز وجــل؛ قــال الحسن البصــري رحمه اللــه: «لقد أدركت أقوامًا كـانوا أشد حرصًـا على أوقــــاتهم من حرصـــــكم على دراهمكم ودنانيركم». اهـ.

فــإذا كــان المخــاطبون بــذاك الكلام التــابعين وهم خــير القــرون بعد الصــحابة رضــوان الله تعــالى عليهم أجمعين، فكيف بنا نحن المفــرطين الــذين أفنينا أوقاتنا في اللغو واللهو والعصيان؟!

ولقد جاء في خطبة لعمر بن الخطــاب

(أنه سـأل الله عز وجل إصـلاح السـاعات). اهــ. أي :قضـاءها فيما يرضي الله عز وجل من أعمال صالحة, وكان همـام بن الحـارث رحمه الله يـــدعو بقولـــه: «اللهم اشـــفني باليســـير من النـــوم وارزقـــني ســـهرًا في طاعتك». اهـ.

فهــؤلاء القــوم عرفــوا نقطة البداية في الطريق الموصل إلى حسن اغتنـــــــــــام الأوقات؛ وهو دعاء الله عز وجل, فهل قمنا نحن بذلك مع شدة حاجتنا إليه!!

ثم بعد ذلك لننظر كيف طبقــوا حرصــهم على اغتنام دقائق العمر في أرض الواقع.

* قــال الفضــيل بن عيــاض رحمه اللــه: (أعـــــــرف من يعد كلامه من الجمعة إلى الجمعة). اهـ.

وذلك لقلة كلامه حفظًا للسانه من الزلل وابتعادًا عن الثرثرة وفضول الكلام.

* وقالت أســماء بنت أبي بكر رضي الله عنهــا: «كــان عبد الله بن الزبــير صــوَّام النهــار قــوَّام الليل وكــان يســمي حمــام المسجد».

* وكـــان الخطيب البغـــدادي رحمه الله يمشي في الطريق وفي يده جـزء يطالعـه, أي: كتاب .

* وقـــال ابن عقيل رحمه اللـــه: «إني لا يحل لي أن أضيع ساعة من عمري حتى إذا تعطل لســـاني عن مـــذاكرة ومنـــاظرة، وبصـــري عن مطالعــة، أعملت فكـــري في حال راحتي، وأما منطـــرح فلا أنهض إلا وقد خطر لي ما أسطره».

وقال أيضًا رحمه اللــه: «وأنا أقصر بغاية جهدي أوقات أكلي؛ حتى أختار سف الكعك وتحســـيه بالمـــاء على أكل الخـــبز لأجل ما بينهما من تفـــــاوت المضغ تـــــوفرًا على مطالعة أو تسطير فائدة لم أدركها فيه».

* وقـــال جماعة من النـــاس لعبد الله بن المبارك رحمه الله: «إذا صـليت معنا لمـاذا لا تبقى معنا وتجلس؟! فقــــال لهم: أذهب فأجلس مع الصحابة والتـابعين، فقـالوا لـه: فـأين هم؟! فقـال: أذهب فـأنظر في كتـبي فـــأدرك أعمـــالهم وآثـــارهم، مـــاذا أصـــنع معكم؟! وأنتم تجلسون تغتابون الناس».

* وقـال الفضـيل بن عيـاض رحمه اللـه:

«لقد أدركت أقوامًا يســتحيون من الله في سواد الليل من طول الهجعة».

* وكان ثـابت البنـاني رحمه الله يقـول: «كابـدت نفسي على قيـام الليل عشـرين سنة, وتلذذت به عشرين سنة.».

* وكـان عثمـان بن عفـان يقـول: «لو طهرتم قلوبكم ما شبعتْ من كلام ربكم».

* ولما احتضر العبد الصـــالح أبو بكر بن عياش رحمه الله بكت عليه أخته فقال لها: «ما يبكيـك؟! انظـري إلى تلك الزاوية من البيت، لقد ختمت القـرآن فيها ثمـاني عشر ألف ختمة».

* وعن عروة بن الزبـير رحمه الله قـال: «أتيت عائشة رضي الله عنها يومًا لأســلِّم عليها فوجـدتها تصـلي وتقـرأ قوله تعـالى: ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ **[الطـور: 27]**، ترددها وتبكي فانتظرتهـا، فلما مللت من الانتظـار ذهبت إلى السـوق لحـــاجتي، ثم رجعت إلى عائشة فـــإذا هي على حالتها الأولى تـــردد هـــذه الآية في صلاتها وتبكي».

* وفي ذات يــوم مــرَّ القاضي (شــريح)

بمجموعة من النـاس وهم يلعبـون ويلهـون ويـثرثرون، فقـال لهم: ما شـأنكم؟ فقـالوا: تفرغنـا, فقـال لهم: وهل أُمر الفـارغ بهـذا؟ ثم قرأ قوله تعالى: ﴿**فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ * وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ**﴾ **[الشرح: 7، 8]**.

وما هــذه الأخبــار إلا غيض من فيض في حـال السـلف الصـالح مع الأوقـات وحسن اغتنامهم واستثمارهم لها.

وهكـــذا ينبغي لنا أن نتخذ من ســـيرة سلفنا الصالح نبراسًا وسـراجًا نستضـيء به في حفظ أوقاتنا واغتنام فراغنا, وليس ذلك بصـعب المنـال -أخـتي الحبيبـة- فهم بشر مثلنا إلا أنهم تفاضـلوا علينا بقـوة الإيمـان ورسوخه في قلـوبهم والـذي ظهر جليًّا في أعمالهم وأقوالهم.

وأكـبر دليل على ذلك ما وصل إليه بعض علماء زماننا الأفاضل من علو الهمة وصون الأوقات؛ مثال ذلك: سـماحة الإمـام الشـيخ عبد العزيز بن بــاز رحمه الله الــذي يــذكر عنه أنه من شـــدة حرصه على الاســـتفادة من وقته خصص لحفظ بعض المتــون وقت وضــوئه للصــلاة, وفضــيلة العلامة الشــيخ

محمد بن صالح بن عثيمين رحمه الله الذي لم تكد أوقاته لتمر دون فائدة حـتى أنه في طريقه إلى المســجد كــان يقــرأ عليه أحد طلبته بعضًا من الكتب.

ففي حياة أمثال هؤلاء العلماء الأعلام رد عملي على كل مَن يــــزعم أنه لا يمكن أن يعيش كحياة السـلف الصـالح؛ لبُعد الزمـان وكثرة الفتن في عصرنا الحاضر.

إذن, المسـألة -أخـتي الطالبـة- مسـألة إيمــــان قــــوي وهمة عالية تنــــاطح قمم الســـحاب, ولاغتنـــام أوقـــات الفـــراغ واســتثمارها في الخــير عــدة أســباب من أهمها:

1- استحضــــار النية الصــــادقة الخالصة لوجه الله ســبحانه وتعــالى بين يــدي كل عمل.

2- استشــــعار أهمية الـــوقت في حياتنا وأننا محاسبون على كل يوم, بل كل لحظة في أعمارنا.

3- قصر الأمل وتـــذكر هـــادم اللـــذات مصداقًا لقوله ﷺ: «**أكثروا من ذكر هـادم**

اللذات: الموت» [أخرجه الترمذي وغيره وصححه الألباني].

4- دعاء الله عز وجل بقلب صادق بالتوفيق والتسديد في الأقوال والأفعال والإعانة على حسن اغتنام الأوقات.

5- النظر في أحوال الصالحين والتأمل في سيرة السلف الصالح لشحذ الهمم لمعالي الأمور.

6- المداومة على تلاوة كتاب الله عز وجل.

7- الحرص على طلب العلم الشرعي.

8- المداومة على الأعمال الصالحة والاستزادة منها.

9- حفظ الجوارح عن المعاصي والآثام.

10- مجالسة رفقة صالحة تعين على الخير.

11- تطبيق هدي الرسول في عمل اليوم والليلة.

فإذا استعنا بالله عز وجل والتزمنا بما سبق ذكره -عزيزتي الطالبة- بلا نقصان أو

تراخ، فإننا بـإذن الله سـنقطف ثمـارًا يانعة من عمارة الأوقات، وننعم باسترداد الغنيمة الضائعة.

ختامًـا: أسـأل الله عز وجل أن ينفعـني وإيــاك بما علمنــا، وأن يعلمنا بما ينفعنــا، وصــلى الله وســلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

